

الأسلوب الأمثل لترجمة القرآن الكريم بين الإمام شاه ولي الله الدهلوي والأستاذ المودودي

پوهنوال دكتور مصباح الله عبدالباقي¹

د بحث لنډيز

د بحث لنډيز دا شو چې شاه ولي الله دهلوي او مولانا سيد ابو الاعلي مودودي رحمهما الله، دواړه په دې متفق دي چې حرفي او لفظي ترجمه سمه نه ده، او نه دا صحيح ده چې مترجم په بشپړه توگه د قرآن د نص له قيودو څخه ځان آزاد محسوس کړي او يوازې د قرآن کریم مفهوم خپلي ژبې ته منتقل کړي، دا دواړه اساليب دمنلو وړ نه دي، بلکې يوازې يو اسلوب دواړه جايز گڼي چې هغه د مفهومي ترجمې اسلوب دي، مگر د دواړو ترمنځ فرق دادې چې، شاه ولي الله دهلوي باندي احتياط غالب دي، نو هغه د لفظ او عبارت ډير رعايت کړي دي، تر دې چې ترجمه يې لفظي ترجمې ته ورنږدې کړې ده، (خو په حقيقت کې لفظي ترجمه نه ده). او په مولانا مودودي باندي د مفهوم او معني رعايت غالب شوي دي، او دې اړخ ته يې زياته توجه کړې ده چې د قرآن ترجمه يې آزادي ترجمې ته ورنږدې کړې ده.

په حقيقت کې دا دواړه د يو اسلوب دوه انتهاگانې دي، نو ويلي شو چې روغ او جايز اسلوب همدا د مفهومي ترجمې اسلوب دي مگر ددې په تطبيق کې هم نظرونه سره مختلف کيدلي شي.

1- عضو کادر علمی پوهنځی شرعیات و رئیس پوهنتون

سلام

تلفون: +93777202080

ایمیل: Misbah.abdulbaqi@gmail.com

معلومات مقاله

تاریخ نشر: 1390/06/13

شماره مقاله در ژورنال: 04

تعداد صفحات: 11

شماره نوبتی مجله: 01

کلید واژه ها

الأسلوب الأمثل، ترجمة حاصل

المعنى المراد، الترجمة

الصحيحة، الترجمة الحرفية،

وحدة الأمة

معلومات مجله:

مجله علمی پوهنتون سلام، نشرات خویش را از سال 1390 هـ.ش آغاز نموده و دست آورد های زیادی در این زمینه دارد، در ادامه سلسله فعالیت های خویش به تاریخ 1401/03/22 اعتبار نامه خویش را به عنوان یکی از معتبرترین مجله از وزارت محترم تحصیلات عالی کشور به دست آورد، آدرس: افغانستان، کابل، ناحیه چهارم، کلوله پشته، چهار راهی قلعه بست (گل سرخ)، پوهنتون سلام. وبسایت: <https://salam.edu.af/magazine>، ایمیل: salamuk@salam.edu.af، شماره های تماس: +93202230664 و +93788275275 آدرس ارتباطی؛

مقدمه

الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد. فإن ترجمة القرآن الكريم كانت في فترة من الزمن محل خلاف ونزاع شديدين بين العلماء؛ فمنهم من كان يتشدد في تحريمه، وكان يرى أنها غير ممكنة أولاً، وكان يعتبرها إلى جانب ذلك وسيلة للفساد في الإسلام وتحريفه، ومنهم من كان يوجبها ويعتبرها وسيلة ناحية لتبليغ الدعوة للناطقين بغير اللغة العربية، ويبدو أن الخلاف اشتد عند ما رأى المسلمون بعض المستشرقين المتعصبين ضد الإسلام قد استغلوا ترجمة القرآن الكريم لشر سمومهم من خلالها، ويبدو أن الخلاف قد حسم لصالح من يقول بجواز الترجمة بعد المناقشات الحادة التي جرت بين العلماء في القرن الماضي وخاصة في الثلاثينات والخمسينات منه، لكن العلماء وضعوا لذلك ضوابط ليمنعوا

بها التلاعب بالدين عن هذا الطريق، إلى جانب ذلك فإن عملية الترجمة وخاصة ترجمة القرآن الكريم عملية صعبة ومحفوفة بالمخاطر، ومن هنا يجب التنبيه لهذه المخاطر، لأن الأمر يتعلق بكتاب الله عز وجل، وإن الخطأ في نقل كلام الله عز وجل إلى الناطقين باللغة المترجم إليها يدخل ضمن الافتراء على الله عز وجل، وتعتمد الخطأ في ذلك تقوّل عليه، والافتراء على الله سبحانه وتعالى أشد أنواع الظلم، يقول الله عز وجل: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)¹.

وإن من الأمور المهمة حول ترجمة القرآن الكريم الأسلوب الذي يسلكه المترجم في عملية ترجمة كتاب الله عز وجل، ومن ثم سأحاول في السطور القادمة مناقشة هذه القضية، وسأعرض الأسلوب الأمثل للترجمة من خلال ذكر رأي اثنين من كبار العلماء ممن اشتغل بترجمة القرآن الكريم وجربا مشاكلها، وهما الإمام ولي الله الدهلوي، الذي ترجم القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية، وتعتبر ترجمته من أدق التراجم، والآخر هو الإمام المودودي الذي ترجمه إلى اللغة الأردنية، وتعتبر ترجمته من التراجم الجيدة باللغة الأردنية، لنرى من خلال ذلك رأي كل واحد منهما في الأسلوب الذي اختاره للترجمة، ولنعرف أسباب هذا الاختيار ليكون ذلك عوناً لمن يريد أن يشتغل في ترجمة القرآن الكريم إلى لغة من لغات المسلمين، لكن هذا يتطلب أن أتناول قبل ذلك بعض القضايا المتعلقة بالترجمة، تعريفها وأنواعها، والضوابط التي وضعها العلماء لجوازها كتوطئة وتمهيد لبيان رأي هذين العالمين الجليلين في الموضوع المذكور، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرينا الحق حقاً وأن يرزقنا اتباعه إنه سميع مجيب.

الترجمة لغة واصطلاحاً:

الترجمة وردت في اللغة بمعنيين؛ أحدهما البيان والتوضيح والتفسير، تقول العرب: "ترجم فلان إذا بينه وأوضحه"² وقال الزبيدي: "وفي البصائر: كل ما ترجم عن حال شيء فهو تفسيره"³، ومنه لقب ابن عباس رضي الله عنه بـ"ترجمان القرآن" يقول ابن عباس رضي الله عنه: "دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم ترجمان القرآن أنت"⁴ وذلك لعلمه بتفسير القرآن الكريم، ومنه ترجمة الباب عنوانه والعلامة التي يعرف بها ما في الباب، ومنه ترجم فلان أو عن فلان بين سيرته وتاريخه. والمعنى الثاني هو نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى، أو تفسير الكلام بلغة أخرى، يقول الزبيدي: "وقيل نقله من لغة إلى أخرى"⁵، ومنه كلمة الترجمان الواردة في حديث كتاب النبي صلى الله عليه وسلم له رقل، إنه قال لترجمانه⁶ وهو الذي يُترجم الكلام، أي يُنقله من لغة إلى لغة أخرى⁷ ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان"⁸ أي من ينقل كلام الله إليه بلغته.

الترجمة اصطلاحاً

أما اصطلاحاً فقد أخذ تعريف الترجمة من المعنى اللغوي الثاني الذي هو نقل معنى الكلام من لغة إلى لغة أخرى، ويمكن أن نرجع في تحديد التعريف الدقيق للترجمة إلى علماء الترجمة المعاصرين لنعرف وجهة نظرهم في ذلك.

يقول الدكتور صفاء خلوصي: "الترجمة: فن جميل يعنى بنقل ألفاظ ومعان وأصاليب من لغة إلى أخرى، بحيث إن المتكلم باللغة المنقول إليها يتبين النصوص بوضوح، ويشعر بها بقوة كما يتبينها ويشعر بها المتكلم باللغة الأصلية"⁹ فالترجم لا ينقل المعنى فقط بل ينقل معه الأساليب كذلك، فإذا تم التعبير عن المعنى بأسلوب المجاز يعبر عنه المترجم بنفس الأسلوب، وإذا كان في أسلوب الأصل كناية تتم ترجمته بالأسلوب نفسه.

ويُعرف Forster الترجمة الجيدة على أنها "الترجمة التي تفي بنفس الغرض في اللغة الجديدة مثلما فعل النص الأصلي في اللغة التي كُتبت بها".
ويصف Orr عملية الترجمة بأنها مطابقة لعملية الرسم إلى حد ما، فيقول: "إن الرسام لا يستخرج كل تفصيل في المنظر"، فهو ينتقي ما يبدو أفضل بالنسبة له. وينطبق نفس الشيء على المترجم، "إنها الروح - وليس المعنى الحرفي وحسب - التي يسعى المترجم لتجسيدها في ترجمته الخاصة".

ويحاول Edwards توصيل نفس المفهوم، فيقول: "ننتظر وجود صدق حقيقي تقريبي في الترجمة... وكل ما نريد الحصول عليه هو نفس صدق إحساس ممكن للنص الأصلي. ويجب أن تصل إلينا السمات والمواقف والانعكاسات بنفس الشكل الذي كانت عليه في ذهن المؤلف وقلبه، وليس من الضروري أن يتم ذلك بالدقة التي انطلقت بها من فمه"¹⁰.

يظهر من هذه التعريفات أن الترجمة الجيدة والمقبولة لدى علماء الترجمة المعاصرين هي الترجمة التي ينقل "الروح الأصلية للنص" وإن لم يتقيد المترجم بتعابير في النص الأصلي، ويريدون أن يظهر العمل المترجم كأنه عمل جديد وليس ترجمة لعمل آخر، يقول Goodspeed: "أن أفضل التراجم ليست تلك الترجمة التي تُبقي نص القارئ وإلى الأبد حقيقة أن هذا العمل ما هو إلا ترجمة وليس تأليفاً أصلياً، وإنما هي تلك الترجمة التي تجعل القارئ ينسى - مطلقاً أنها ترجمة

¹ - سورة الأنعام الآية رقم 21، وقد ورد ذلك أكثر من عشر مرات في القرآن الكريم.

² - الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير ج: 1 ص: 74، تحت مادة "ترج"، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبع.

³ - مرتضى، الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، تاج العروس شرح القاموس المحيط تحت مادة ف - س - ر.

⁴ - الهبشي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ج: 9 ص: 276، دار الريان، ودار الكتاب العربي، القاهرة، وبيروت، عام 1407 هـ، وقد ضعف الحديث، لكن ابن عباس رضي الله عنه معروف بهذا اللقب فقد ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يلقيه بهذا اللقب انظر أبو عبد الله الحاكم، المستدرک على الصحيحين ج: 3 ص: 618، دار الكتب العلمية، بيروت، عام 1990م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

⁵ - الزبيدي، مرتضى، تاج العروس في فصل "الناء"

⁶ - البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري ج: 1 ص: 7، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة عام 1987م، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

⁷ - ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث ج: 1 ص: 186، المكتبة العلمية، بيروت، عام 1979، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي.

⁸ - البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ج: 5 ص: 2395.

⁹ - صفاء خلوصي، فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة، دار الرشيد للنشر منشورات وزارة الثقافة والإعلام 1982م سلسلة دراسات: 292.

¹⁰ - راجع لهذه التعريفات محمد حسين يوسف، "كيف تترجم" ص 25، المطبوع عام 2006م، المنشور على موقع صيد الفوائد على الشبكة العالمية.

وتجعله يشعر أنه ينعم النظر في ذهن الكاتب القديم مثلما يعين النظر في ذهن كاتب معاصر. ولا يعتبر هذا الأمر في الواقع أمرا سهلا في تنفيذه، ولكنه رغم ذلك يعتبر المهمة التي يجب أن يلتزم بها أي مترجم جاد في عمله".¹

جواز ترجمة القرآن الكريم وعدمه

أخذت قضية الترجمة وجوازها من عدمها حيزا كبيرا من النقاش بين العلماء، وكانت موضع أخذ ورد بينهم في منتصف القرن الماضي، وكان السلطان عبد الحميد - أحد الخلفاء العثمانيين المتأخرين - يمنع ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية منعاً باتاً² والخلاف لم يكن قاصراً على الترجمة الحرفية - كما يصوره البعض - بل كانت مجموعة من العلماء تمنع ترجمة القرآن مطلقاً وتحظرها³، وتعتبرها من البدع التي لم يقر بها الرسول صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة، وكان البعض يرى أن ترجمة القرآن الكريم سيكون سببا في نقل معاني القرآن لغير المسلمين وسيعرض ذلك القرآن الكريم للطعن والرد والتشنيع، وقد عقد الإمام البخاري بابا للرد على هذا الرأي فقال: "باب هل يرشد المسلم أهل الكتاب أو يعلمهم الكتاب" وقال الحافظ في بيان مذاهب العلماء في هذه المسألة "وأما تعليمهم الكتاب فكأنه استنبطه من كونه كتب إليهم بعض القرآن بالعربية وكأنه سلطهم على تعليمه إذ لا يقرءونه حتى يترجم لهم ولا يترجم لهم حتى يعرف المترجم كيفية استخراجها، وهذه المسألة مما اختلف فيه السلف، فممنع مالك من تعليم الكافر القرآن، ورخص أبو حنيفة، واختلف قول الشافعي، والذي يظهر أن الراجح التفصيل بين من يرجى منه الرغبة في الدين والدخول فيه مع الأمن منه أن يتسلط بذلك إلى الطعن فيه وبين من يتحقق أن ذلك لا ينجم فيه أو يظن أنه يتوصل بذلك إلى الطعن في الدين والله أعلم"⁴. لكن هذه الأسباب لم تعد مقنعة بعد عصر الطباعة فإن المصحف الشريف منتشر يقرأه المسلم والكافر، والمفروض أن لا يكون خوف الطعن في القرآن الكريم والتشنيع عليه مانعين من ترجمة القرآن الكريم وطباعته ونشره، لأن القرآن الكريم يخاطب عقول الكفار ومشاعرهم ويتأثرون بقراءته باستمرار، ولا تأثير لطنعهم فيه ولا لتشنيعهم عليه. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن بعضهم كانوا يرون ترجمة القرآن الكريم ونقله إلى اللغات الأخرى مستحيلا فإن اللغة العربية مشتملة على المعاني الثانوية والأساليب البلاغية من الاستعارات والمجازات والكنايات والتشبيهات، والتعظيم والتحقير، وما يجعل الكلام مطابقا لمقتضى الحال دون مقتضى الظاهر ما يصعب نقله إلى اللغات الأخرى صعوبة تصل إلى حد الاستحالة⁵، ومن هنا كانوا يحرمون الاشتغال بها، لأن ما لا يمكن فعله يكون الاشتغال به عبثا لا فائدة فيه. ومن يرى من العلماء أن ترجمة القرآن الكريم ممكنة خاصة للمعاني المطلقة والدلالات الأصلية فإنهم أيضا يمنعونها لمبررات ساقوها تتلخص في بعض المفاصل التي تترتب على الترجمة في نظرهم، منها المبررات التالية:

المبرر الأول: الخوف من أن تحل الترجمة بمرور الزمن محل النظم القرآني، وسيكون ذلك سببا لضياع النظم القرآني العربي كما ضاع النص الأصلي للتوراة والإنجيل، وفي ضياع النص القرآني ضياع الدين كله، وكل ما كان كذلك حرم فعله.

المبرر الثاني: الترجمات الكثيرة الغير الدقيقة ستكون سببا لاختلاف الأمة، فإذا ترجم كل شعب القرآن الكريم بلغته ستختلف هذه الترجمات، وسينشأ من الخلاف بين الترجمات الخلاف بين المسلمين مثل اختلاف اليهود والنصارى في كتبهم، وهذا سيعرض مشتركات الأمة للضياع وكل ما كان هذا شأنه حرم فعله.

المبرر الثالث: إن من أهم عوامل وحدة الأمة باختلاف شعوبها وألسنتها اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم، والشعوب المسلمة تهتم باللغة العربية وعلومها، وتتعلمها وتحاول أن تتحدث بها، والسبب الحقيقي وراء هذا الاهتمام عربية القرآن الكريم، وأذا فتحت باب الترجمات إلى اللغات المختلفة لأدى ذلك إلى ضعف هذا الاهتمام، ولضعف هذا الرباط الجامع للأمة، وفي ضياعها ضياع الأمة.

مناقشة هذه التبريرات

هذه هي أهم مبررات من يرى منع ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، وهي كما ترى مخاوف يمكن التغلب عليها عن طريق وضع بعض القيود، فعلى سبيل المثال يمكن أن يقال إن الترجمة لن تحل محل النظم القرآني، لأن الأمة قد أجمعت على حظر كتابة القرآن الكريم بغير الحروف العربية، كما أجمعت الأمة على عدم جواز طباعة ترجمة معاني القرآن الكريم من غير طباعة النص القرآني معها، وكذلك لا يجوز تسمية ترجمة معاني القرآن الكريم بـ "القرآن الكريم" ومن هنا كل العلماء الثقات يسمون تراجمهم للقرآن الكريم بترجمة القرآن أو بترجمة معاني القرآن، ولنفس السبب قد تعرض بعض الترجمات القرآنية باللغة الإنجليزية لاعتراضات شديدة لأنها طبعت من غير أن يطبع معها النظم القرآني وصدرت بـ "The Holy Qura'an" فإذا روعيت هذه الشروط زال هذا الخوف، وإذا زال الخوف المذكور لم يعد للمبرر المذكور وجه.

أما المبرر الثاني وهو أن الترجمات الخاطئة والغير الدقيقة ستصبح سببا للاختلاف بين الأمة، نعم إذا كانت الترجمات فاسدة وغير صحيحة باتفاق الأغلبية من العلماء المعتمدين فإنها ستسبب المشاكل بين الأمة ومن ثم تكون محرمة، لأنها تكون ذريعة لإضلال الناس، ومن هنا قد قرر العلماء تجنب هذه النقيصة في ترجمة معاني القرآن الكريم بالتزام الشروط التي وضعها العلماء لمن يقوم بالترجمة، وكل من يترجم من غير توفر الشروط المذكورة فيه فيجب أن يتم الإعلان عنها بأنها ترجمة غير دقيقة، وبهذا نكون قد ضيقنا دائرة الترجمات الغير الدقيقة والغير الصحيحة، وأما إذا كانت الترجمة قد تمت من قبل العلماء المعتمدين الذين توفرت فيهم الشروط اللازمة ثم اختار أحدهم في ترجمته شيئا خلاف ما اختاره غيره فهذا لن يكون سببا لتمزيق الأمة، ولن يكون ذلك مبررا لمنع الترجمة بل يجب أن تتحمل مثل ما يتحمل

¹ - المصدر السابق ص: 26 - 27.

² - انظر الزبداوي، الدكتور محمود، مقال "أهداف ترجمة القرآن وأنماطها عبر التاريخ" المنشور في مجلة التراث العربي مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق العدد 98- السنة الخامسة والعشرون - حزيران 2005 - جمادى الأولى 1426.

³ - ومن هذه الجهة تعرض الإمام ولي الله الدهلوي لنقد لاذع من قبل المولوية في الهند عند قيامه بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية.

⁴ - العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري ج: 6 ص: 107، طبع دار المعرفة، بيروت، عام 1379 هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب.

⁵ - وقد نقل الشاطبي عن ابن قتيبة استحالة ترجمة القرآن الكريم بالاعتبار الثاني من الاعتبارين اللذين قسم إليهما المعاني وهما نوعان؛ المعاني المطلقة أو الدلالة الأصلية، والمعاني الخادمة أو الدلالة التابعة، وهذا هو رأي ابن فارس في كتابه الصحاح، راجع الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الموافقات ج 2 ص 107، دار ابن عفان، الطبعة الأولى عام 1417 هـ/ 1997 م، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، وراجع الدينوري، ابن قتيبة، مشكل القرآن ص 21 تحقيق الشيخ أحمد صقر.

الخلاف في تفسير القرآن الكريم، فإن المفسرين يختلفون فيه منذ القديم ولم يحكم أحد بمنعه، ومن هنا نستطيع أن نقول بأن الترجمة ليست مستلزماً لهذه المشكلة حتماً، بل تنفصل عنها، بل وقد رأينا بالفعل تراجم صحيحة لا تسبب تلك المشاكل التي أشير إليها في تبرير المنع المذكور، بل تجمع شمل الأمة بنشر- الفهم الصحيح للقرآن الكريم بين أبنائها.

أما المبرر الثالث الذي يقرر أن ترجمات القرآن الكريم إلى لغات الشعوب المسلمة ستقلل من اهتمامها باللغة العربية، فيمكن أن يقال في مناقشته إن الاهتمام باللغة العربية مهم للغاية، لكنني لا أرى أن هذا الاهتمام سيتوقف إذا ترجم القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى، فقد تمت ترجمته لعدد كبير من اللغات ومع ذلك فإن الناطقين بتلك اللغات يتعلمون العربية باستمرار ليتعمقوا في العلوم الشرعية، فإن كل من يكون لديه شيء من العلم يعلم يقيناً أن الترجمة - وإن كانت دقيقة جداً - لا يمكن لها أن تنقل كل المعاني الثانوية للقرآن الكريم للغة المترجم إليها، ومن هنا فإن كل من يريد أن يتعمق في العلوم الشرعية سيتعلم العربية سواء ترجم القرآن إلى لغته الأم أم لم يترجم، لأن الترجمة لا يمكن أن تقوم مقام الأصل في القرآن الكريم خاصة دون سائر الكتب، ومن هنا يمكن أن يقال إن ترجمة القرآن الكريم ستكون سبباً لنشر اللغة العربية، لأن ترجمة القرآن في اللغات الأخرى ستساعد في نشر الإسلام، وكلما انتشر الإسلام في بيئة زاد اهتمام أهلها باللغة العربية. ومن هنا أرى أن هذه المبررات ليست كافية لمنع ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات العالمية.

بل وهناك مبررات كثيرة وأدلة متعددة توجب الترجمة - كما يرى الكثيرون - ومن هذه المبررات والأدلة ما سأتناوله باختصار فيما يلي، ولن أطول في الموضوع؛ لأنه محسوم لصالح من يقول بجواز الترجمة، بل بوجوبها، لكننا نريد أن من يشتغل بهذا الأمر يجب أن يشتغل به منشراح الصدر مطمئناً، ولأجل ذلك نسوق بعض هذه الأدلة، بعض هذه المبررات والأدلة يمكن عرضها على النحو التالي:

إن الله سبحانه وتعالى قد أرسل رسوله بالهدى ودين الحق للناس جميعاً، وقد دل على ذلك نصوص كثيرة، منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾¹، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ نُورًا مُبِينًا﴾ وقوله تعالى ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِتُدْرِكُ بِهِ مَنْ بَلَغَ﴾²، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتبليغ الرسالة لهؤلاء جميعاً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ وَإِنَّ لَكَ لِمَ تَفْعَلُ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾³، وأمرته مأمورة بعده بما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، وعلماؤنا مأمورون بتبليغ دعوة الإسلام لمن لم تبلغه بقول النبي صلى الله عليه وسلم "ألا فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع"⁴ ونزل الوعيد الشديد في القرآن الكريم في حق من يكتنم العلم والحق، وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الأنبياء، وجعل هذه الورثة الحق الذي نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم فوجب على الأمة عموماً وعلى العلماء خصوصاً تبليغ الشرع وبيان الوحي للناس كافة، ومن المعلوم أن الناس والشعوب كلها لا تتفاهم باللغة العربية، فوجب بيان الوحي لهم ونقله لهم إلى لغاتهم، وترجمته إليها، لأن ما توقف عليه الواجب صار واجباً⁵.

وقد ذكر العلماء أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أقر ترجمة آيات من القرآن الكريم عندما أرسل خطابات إلى ملوك الأرض في عصره باللغة العربية، وكتب فيها بعض الآيات القرآنية، وكان يعلم يقيناً عدم معرفتهم للغة العربية، وكان يعلم أنها ستترجم له، وقد فهم الحافظ ابن حجر ذلك في عدة أماكن من شرحه لصحيح البخاري⁶ وكان بعض من يعرف اللغات الأخرى يترجم كلام الصحابة إلى أهل تلك اللغات عندما كانوا يدعونهم إلى الإسلام، وكان كلامهم لا بد وأن يكون مشتتلاً على آيات من كتاب الله عز وجل، فقد أورد الإمام البخاري في "باب ترجمة الحكام وهل يجوز ترجمان واحد" قال خارجة بن زيد بن ثابت عن زيد بن ثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يتعلم كتاب اليهود حتى كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم كتبه وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه "يعني أمر زيداً أن يتعلم لغة اليهود، ... وعن أبي جمره "كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس"⁷ وقال الحافظ ابن حجر: "وقيل إن أبا جمره كان يعرف الفارسية فكان يترجم لابن عباس بها"⁸.

شروط الترجمة الصحيحة

ثبت مما تقدم ذكره في بيان وجهات النظر حول جواز الترجمة وعدمه أن من يجوزها - وهم الجمهور - يرون أن الغرض من الترجمة هو توصيل وتبليغ معاني القرآن الكريم - كما يفهمها المترجم - لمن لا يتقن اللغة العربية من الناطقين باللغات الأخرى، ولما كان لفهم المترجم دخل في نقل معاني القرآن إلى اللغات الأخرى اشترط العلماء لمن يقوم بذلك شروطاً ومواصفات، لأنه لا يمكن الاعتماد على فهم من لم يكن مؤهلاً لذلك، وهذه الشروط نوعان:

النوع الأول: أن يتوفر فيه شروط المترجم الجيد، بأن يكون متقناً للغة العربية، واللغة التي يترجم القرآن إليها، ويرجح البعض أن يكون من أهل تلك اللغة التي يترجم إليها وأن يكون من الناطقين بها، عارفاً بقواعد اللغتين، والخلفية الثقافية لهما، وغير ذلك مما يجب توفره في المترجم الجيد.

¹ - الفرقان: الآية رقم (1)

² - النساء: الآية رقم (174)

³ - الأنعام: الآية رقم (19)

⁴ - المائدة: الآية رقم (67)

⁵ - متفق عليه البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ج: 2 ص: 620.

⁶ - وقد ذكر ابن حبان عن أبي حاتم أن المراد بذلك سنة الرسول صلى الله عليه وسلم انظر البستي، محمد بن حبان التميمي أبو حاتم، صحيح ابن حبان ج: 1 ص: 290، مؤسسة

الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية عام 1993م، تحقيق شعيب الأنطوط.

⁷ - راجع ما ذكره، الدكتور عبد رب النبي ذاكر عن الحجوي في كتابه "قضايا ترجمة القرآن" ص 50-51، كتاب نصف الشهر، سلسلة شرع المغربية التي تصدر في طنجة العدد: 45، 25 شعبان 1419هـ-15 ديسمبر 1998م، فإنه نقل عنه أنه يقول بوجوب ترجمة القرآن الكريم وجوباً كفاً على الأمة.

⁸ - العسقلاني، أحمد بن علي ابن حجر، فتح الباري ج: 13 ص: 516، وفي ج: 9 ص: 9 في شرح "باب نزل القرآن بلسان قريش والعرب وقول الله تعالى { قرآن عربياً } { بلسان عربي مبين }"

⁹ - صحيح البخاري ج: 6 ص: 2631.

¹⁰ - فتح الباري ج: 1 ص: 130.

النوع الثاني: أن يتوفر فيه شروط المفسر؛ لأن ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الأخرى نوع من التفسير¹، لأن المترجم يقرأ النظم القرآني ويفهمه ثم يعبر عنه في اللغة التي يترجم إليها، والتفسير هو بيان وتوضيح كلام الله عز وجل بقدر الطاقة البشرية، فإذا يشترط للترجمة ما يشترط للتفسير، وقد اشترط العلماء توفر هذه الشروط لئلا تصبح ترجمة القرآن الكريم مرتعا لأهل الأهواء والبدع، وأن لا تكون الترجمات الخاطئة للقرآن الكريم وسيلة لإضلال الناس باسم القرآن، وقد تحدث علماء التفسير بالتفصيل عن شروط المفسر، ونحن نجمل تلك الشروط فيما يلي:

- 1- صحة الاعتقاد، ولزوم سنة الدين².
- 2- صحة المقصد: بأن لا يكون قصده من التفسير تأييد بدعته³.
- 3- الاعتماد على ما جاء في كتاب الله وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة رضوان الله عليهم في تفسير كتاب الله عز وجل على حسب المراتب، وحسب ما ذكره علماء التفسير⁴.
- 4- العلم باللغة العربية وفنونها من النحو، والغريب، والاشتقاق، والبلاغة، قال مجاهد: "لا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إن لم يكن عالماً بلغات العرب"⁵. وقال أبو حيان الأندلسي في معرض ذكره لما ينبغي أن يحيط به المفسر: "ومع ذلك فاعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته، ولا يمتطي منه صهوته، إلا من كان متبحراً في علم اللسان، مترقياً منه إلى رتبة الإحسان"⁶.
- 5- معرفة علوم القرآن: وعلوم القرآن تشمل: القراءات القرآنية، وأسباب النزول، وجمع القرآن وترتيبه، ومعرفة المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن، وهي من أهم العلوم التي ينبغي أن يعرفها المفسر⁷، بل إن علوم القرآن بالنسبة للمفسر مفتاح له، مثله مثل علوم الحديث بالنسبة لمن أراد أن يدرس الحديث دراسة حقة⁸.
- 6- معرفة أصول الفقه: قال أبو حيان الأندلسي⁹ في الوجوه التي ينبغي لمن يقدم على تفسير القرآن أن يحيط بها: "الوجه الخامس: معرفة الإجمال والتبيين، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، ودلالة الأمر والنهي وما أشبه هذا. ويختص أكثر هذا الوجه بجزء الأحكام من القرآن ويؤخذ من أصول الفقه".
- 7- معرفة علم الفقه.
- 8- معرفة علم العقيدة.
- 7- وقد اشترط بعض العلماء اتقان بعض العلوم العصرية الأخرى، منها العلم بتاريخ البشرية وأحوالهم، والعلم بوجه هداية البشر- كلهم بالقرآن، والعلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، علم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم تاريخ الأديان¹⁰.

أنواع الترجمات من حيث القبول والرد

فإذا توفرت هذه الشروط في المترجم جاز له أن يقوم بترجمة القرآن الكريم، وتكون ترجمته معتمدة، وإذا فقد شرط واحد أو شروط عدة فيمن يقوم بالترجمة تكون ترجمته غير معتمدة، ويجب التأكد منها قبل الاعتماد عليها، وبناء على ذلك قسم المتخصصون التراجم الموجودة على الساحة باللغات العالمية والمحلية المختلفة إلى الأنواع التالية:

ترجمات المستشرقين: ترجمات المستشرقين تختلف من ترجمة إلى أخرى في اللغات العالمية المختلفة، لكنها في الغالب لا تخلو من مشاكل، ومن هنا يجب الاحتياط في الاعتماد عليها.

ترجمات الفرق الكافرة والضالة: مثل ترجمات القاديانيين، وترجمات منكري السنة إلى اللغة الأردنية وغيرها، وهذه الترجمات مبنية على المعتقدات الباطلة لتلك الفرق، ومن هنا لا يعتمد عليها، ولا يوثق فيها وخاصة في المواضع التي يحاولون بها تأييد بدعتهم وكفرهم.

الترجمات الإسلامية: وهي الترجمات التي قام بها علماء مسلمون أكفاء تتوفر فيهم شروط المترجم، فقد ترجم عدد كبير منهم القرآن الكريم في مختلف أنحاء المعمورة إلى لغات شتى، وهي في الغالب ترجمات معتمدة بحمد الله تعالى.

الترجمات الإسلامية الخاطئة: وهناك نوع رابع للترجمات وهي الترجمات التي قام بها مسلمون من غير أن تتوفر فيهم الشروط اللازمة لمن يقوم بترجمة القرآن الكريم، فهذه لا يوثق فيها كذلك.

¹ - لا نريد أن ندخل في مناقشة الفروق بين الترجمة والتفسير، فإنها قد ناقشها الناس لكن الترجمة من هذه الناحية شبيهة بالتفسير ولذلك يشترط فيها ما يشترط في التفسير.

² - راجع السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتيان في علوم القرآن ج: 4 ص: 200، طبع منشورات الرضى، إيران، عام 1363 هـ ش .

³ - المرجع السابق: 201 / 4 .

⁴ - المرجع السابق 201/4 .

⁵ - الزركشي، محمد بهادر، البرهان في علوم القرآن 1 / 292، طبع دار المعرفة، بيروت، عام 1391 هـ تحقيق: محمد أبو الفضل.

⁶ - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 1 / 109، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - 1422 هـ - 2001 م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي، و د. أحمد التجولي الجمل.

⁷ - مناع القطان، مباحث في علوم القرآن ص 16، مكتبة المعارف، الرياض الطبعة الثامنة، 1401 هـ. وانظر كذلك محمد لطفي الصباغ، بحوث في أصول التفسير ص 324، المكتبة الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى عام 1408 هـ.

⁸ - محمد محمد أبو شهبه، المدخل لدراسة القرآن الكريم ص 25، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة، عام 1407 هـ.

⁹ - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 1 / 107، وانظر محمد لطفي الصباغ، بحوث في أصول التفسير ص 61.

¹⁰ - هذا رأي الشيخ محمد عبده، والسيد رشيد رضا، والشيخ محمد أبو شهبه، راجع الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص: 37، طبع كتب خانة رشيدية، بشاور، باكستان، بدون تاريخ الطبع، ويبدو أنها صورة غير شرعية لنسخة أخرى.

ومع ذلك تبقى صحة الترجمة وجوازها - إلى جانب ما ذكر - متوقفا على الأسلوب الذي يختاره المترجم في الترجمة، فإذا اختار الأسلوب الذي يكون مفيدا في نقل معاني القرآن الكريم إلى اللغة التي يراد الترجمة إليها تكون الترجمة صحيحة وجائزة، وإذا كان الأمر غير ذلك يكون حكمها المنع، فما الأسلوب الصحيح؟ وما الأسلوب الخاطيء؟ سنبحث عن الإجابة على هذه الأسئلة في السطور القادمة.

الأسلوب الأمثل لترجمة معاني القرآن

قد قررنا عند التعريف بالترجمة أن الترجمة الجيدة والناجحة هي الترجمة التي يتم فيها نقل روح النص الأصلي، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو أن ترجمة القرآن الكريم هل لها خصوصية من ناحية الالتزام باللفظ؟ أم أنها مثل أية ترجمة أخرى يكون عمل المترجم فيها نقل روح النص القرآني من غير تقييد باللفظ القرآني؟ أو بتعبير آخر هل هناك خصوصية لترجمة القرآن الكريم في الأسلوب؟ أم أن الأسلوب الراجح لترجمة النصوص الأخرى هو الأنسب في ترجمة القرآن الكريم كذلك؟ وللإجابة على هذا السؤال أقول أن الكتاب يرون أن الترجمة يمكن أن تتم بطريقتين أو أسلوبين؛ أحدهما الترجمة الحرفية أو الترجمة تحت اللفظ، والثاني ترجمة حاصل المعنى المراد، أما الإمام ولي الله الدهلوي فيرى أن هناك عدة أساليب أخرى لترجمة القرآن الكريم، ويناقش هذه الأساليب ثم يختار أسلوبا معيناً من بينها، هذه الأساليب المتبعة في ترجمة القرآن الكريم عنده أربعة، نذكرها ونذكر حكمها ومدى فائدتها في الترجمة القرآنية.

الأسلوب الأول: الترجمة الحرفية

أما الأسلوب الأول - وهي الترجمة الحرفية - فيراد به أن يكتب المترجم إزاء كل كلمة قرآنية كلمة من اللغة التي يريد الترجمة إليها بالترتيب الذي ورد في القرآن الكريم من غير مراعاة التقديم والتأخير، والمعنى المجازي والحقيقي، والاستعارة والكناية، يقول الإمام ولي الله الدهلوي عن هذا اللون من الترجمة: "فالبعض يكتب الكلمة ويكتب تحتها ترجمتها، ثم ينتقل إلى كلمة أخرى فيترجمها، وهكذا دواليك إلى أن ينتهي الكلام المترجم، ويقال لهذا النوع من الترجمة "الترجمة اللفظية" أو "الترجمة تحت اللفظ".¹

ولا يترتب على هذا اللون من الترجمة - وهي الترجمة الحرفية - فائدة، ولا يتعلق به غرض شرعي كبير، وذلك لأن الفوائد المحتملة لهذا هي أحد الأمرين التاليين: الغرض الأول: أن تعتبر الترجمة قرآناً ليقراها من لا يتقن العربية، ويقوم مقام القرآن في حقه، وهذه الفائدة لا تحصل بالترجمة، لأن المسلمين قد أجمعوا على أن القرآن الكريم اسم لذلك النظم المعجز المنزل باللغة العربية على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى سماه عربياً في أكثر من آية؛ يقول عز وجل: **وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195)**، وسماه الله عز وجل في آيات عديدة "قرآناً عربياً"³ و"سماه" "حكماً عربياً"⁴ و"لساناً عربياً"⁵.

والدليل الثاني على أن هذا القرآن اسم للنظم والمعنى جميعاً ولا يعتبر المعنى لوحده قرآناً لأن الله سبحانه وتعالى قد تحدى العرب بهذا النظم العربي، وإذا اعتبرنا المعنى لوحده قرآناً لزم منه إبطال وجه التحدي والإعجاز.

يقول الإمام النووي في ذلك: "ترجمة القرآن ليست قرآناً باجماع المسلمين، ومحاولة الدليل لهذا تكلف، فليس أحد يخالف في أن من تكلم بمعنى القرآن بالهندية ليست قرآناً، وليس ما لفظ به قرآناً، ومن خالف في هذا كان مراغماً جاحداً، وتفسير شعر امرئ القيس ليس شعره فكيف يكون تفسير القرآن قرآناً"⁶.

وأما ما قيل عن الإمام أبي حنيفة أنه أجاز القراءة باللغة الفارسية فلا يدل على أنه يعتبر الترجمة قرآناً، وقد اختلفت الروايات عنه فقد نقل عنه أنه أجاز للقادر على القراءة بالعربية القراءة بالفارسية في الصلاة، لكن الحنفية يرون أن الاعتقاد بقرآنية الترجمة لم يكن وراء اختيار الإمام أبي حنيفة لهذا الرأي عند ما اختاره في بداية الأمر قبل أن يرجع عنه، بل كان السبب وراء ذلك أن الإمام أبا حنيفة كان يرى أن هناك توسعة في أمر الصلاة وفي قراءة القرآن فيها، لأن الغرض من القراءة في الصلاة هو الذكر ومناجاة الله سبحانه وتعالى وهذا الغرض يحصل بقراءة الترجمة دون النظم القرآني، بل وقد تكون الترجمة أجدى وأنفع في ذلك، وقالوا بأن السبب الثاني لهذا الاختيار هو التوسعة في مبنى القراءة في الصلاة.

لقد ذكر الشيخ عبد العزيز البخاري عدة أمور من هذه التبريرات فيقول: "لم يجعل النظم ركناً لازماً؛ لأنه قال مبنى النظم على التوسعة؛ لأنه غير مقصود خصوصاً في حالة الصلاة إذ هي حالة المناجاة، وكذا مبنى فرضية القراءة في الصلاة على التيسير قال تعالى { فافرقوا ما تيسر من القرآن }، ولهذا تسقط عن المقتدي بتحمل الإمام عندنا ويخوف فوت الركعة عند مخالفتنا بخلاف سائر الأركان فيجوز أن يكتب في بالركن الأصلي وهو المعنى، يوضحه أنه نزل أولاً بلغة قريش؛ لأنها أفصح اللغات فلما تسر تلاوته بتلك اللغة على سائر العرب نزل التخفيف بسؤال الرسول صلى الله عليه وسلم وأذن في تلاوته بسائر لغات العرب، وسقط وجوب رعاية تلك اللغة أصلاً، واتسع الأمر حتى جاز لكل فريق منهم أن يقرأوا بلغتهم ولغة غيرهم، وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله { أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف } فلما جاز للعربي ترك لغته إلى لغة غيره من العرب حتى جاز للقرشي أن يقرأ بلغة تيم مثلاً مع كمال قدرته على لغة نفسه جاز لغير العربي أيضاً ترك لغة العرب مع قصور قدرته عنها والاكتماء بالمعنى الذي هو المقصود، فصار الحاصل أن سقوط لزوم النظم عنده رخصة كمنح الخف والسلم وسقوط شرط صلاة المسافر حتى لم يبق للزوم أصلاً فاستوى فيه حال العجز والقدرة"⁷.

¹ - الإمام ولي الله الدهلوي، المقدمة في قوانين الترجمة (باللغة الفارسية) خدابخش لايبيري جرنل العدد (115) بتنه، الهند، نشر هذه الرسالة، وصحح نصها الفارسي الدكتور أحمد خان، واستغرقت عشرين صفحة من صفحات المجلة (ص 11 إلى 20).

² - سورة الشعراء الآيات 192-195.

³ - انظر سورة يوسف/2، وسورة طه/113، والزمر/28، و فصلت/3 وغيرها من الآيات الكثيرة.

⁴ - سورة الرعد/37

⁵ - سورة الأحقاف/12

⁶ - المجموع شرح المذهب للإمام النووي - (ج 3 / ص 380) طبع دار الفكر، بيروت.

⁷ - البخاري، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي ج 1 ص 40، طبع منشورات محمد علي بيضوي دارالكتب العلمية، بيروت، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، الطبعة الأولى عام 1997م.

ومن هنا نستطيع أن نقرر أن هذه المسألة كانت خاصة بالصلاة، أما في باقي القضايا فليس للترجمة حكم القرآن إطلافاً عند الإمام أبي حنيفة؛ مثل تكفير من ينكر أن النظم منزل، وحرمة كتاب المصحف بالفارسية، وحرمة المداومة على الاعتقاد على القراءة بالفارسية وغيرها، وهذا يعني أن الترجمة لا تعتبر قرآناً. والصحيح عند الحنفية أن الإمام أبانحنيفة قد رجح عن القول بجواز الصلاة بقراءة ترجمة القرآن بالفارسية إلى قول الجمهور، فأفتى بعدم جواز قراءة الترجمة للقادر، يقول صدر الشريعة في ذلك: "لكن الأصح أنه رجح عن هذا القول أي عن عدم لزوم النظم في حق جواز الصلاة"¹، ويقول الشيخ عبد العزيز البخاري: "وقد صح رجوعه إلى قول العامة ورواه نوح بن أبي مريم عنه ذكره المصنف² في شرح المبسوط، وهو اختيار القاضي الإمام أبي زيد وعمامة المحققين وعليه الفتوى"³ فثبت من العرض المذكور أن ترجمة القرآن بلغة أخرى لا يعتبر قرآناً بإجماع المسلمين، فالترجمة إذا لا تحقق هذا الغرض.

الغرض الثاني من الترجمة: أما الغرض الثاني الذي يتوخاه المترجم أن تحققه الترجمة هو نقل مفهوم النص القرآني إلى اللغة المترجم إليها، لأن اللغات تختلف في التقديم والتأخير، والاستعارات والكنيات، والمجازات وغيرها، فإذا وضعت كلمة في اللغة المترجم إليها بدل كل كلمة في اللغة المترجم منها يأتي الكلام غير مفهوم إطلاقاً للخلاف المشار إليه بين اللغات، ولنقرأ هذه العبارة الطويلة للإمام ولي الله الدهلوي في ذلك، يقول: "وفي الأسلوب الأول خلل لأنه يؤدي إلى اختلال نظم الترجمة في أغلب الأحوال، وتظهر بسببه تراكم خاطئة في اللغة المترجم إليها، كما أنه يؤدي إلى الركافة في الكلام والتعقيد في التعبير وارتكاب الشذوذ في اللغة"⁴ وذلك بسبب اختلاف اللغات في تقديم بعض أجزاء الكلام على البعض وتأخير بعضها عن بعض، وبسبب اختلاف اللغات في تأليف الكلمات واستعمال الكليات، واستخدام الصلات، أضف إلى ذلك أنه يجوز في بعض اللغات الانتقال من ظاهر الكلام إلى لازمه، وتصح استعارة لفظ ما لمعنى من المعاني بينما لا يصح ذلك في لغة أخرى أصلاً، فعلى سبيل المثال يقال في اللغة العربية: "فلان عظيم الرماد" وتجعله العرب استعارة عن كرمه وجوده، ولو ترجمت العبارة المذكورة بأسلوب "الترجمة اللفظية" أو "الترجمة تحت اللفظ" إلى اللغة الفارسية لما حصل لأهلها المعنى الذي تقصده العرب منها، لأنهم (الناطقون بالفارسية) لا يجعلون العبارة المذكورة استعارة عن ذلك المعنى.

كما أن اللغة العربية تمتاز بخصائص لا توجد في اللغة الفارسية، ولا توجد فيها كلمات تؤدي المعنى الموجود في اللغة العربية بتلك الخصوصية؛ ومن ذلك - على سبيل المثال - الكلمات التالية: "رغاء الإبل" و"خوار البقر" و"صهال الفرس" و"نواج الكيش"⁵ و"يعار المعز" و"تهيق الحمار" و"تباح الكلب" و"هدير الحمام" و كلمات أخرى مثل "جرو الكلب" و"جرو القثاء"⁶ و"شبل الأسد" و"فصيل الإبل" و"جدي البقر" و"عناق الشاة" فلا توجد في اللغة الفارسية كلمات تحمل الخصائص الموجودة في الكلمات العربية المذكورة من غير تكلف، أضف إلى ذلك الاختلافات الكثيرة في صلات الأفعال إلى غير ذلك مما لا يخفى على الفطن اللبيب⁷.

ويقرر الإستاذ المودودي هذه الحقيقة بما يقرب من ذلك، فإنه يرى أن الترجمة الحرفية أو الترجمة تحت اللفظ مثل الغربال الذي يمنع البلاغة القرآنية وتأثير النص القرآني من أن ينتقل إلى اللغة المترجم إليها، يقول في ذلك: "الأمر الأول الذي يلاحظ عند القراءة لترجمة لفظية أن القارئ يفتقد في الكلام سلاسة العبارة، وقوة البيان، وبلاغة اللسان، ويجد الإنسان تحت آيات القرآن عبارات ميتة عند ما يقرأها لا تصاب روحه بالوجد، ولا يقشعر جلده، ولا تجود عينه بالدموع، ولا يثور الطوفان في مشاعره، ولا يشعر بأن شيئاً سخر عقله وفكره ونفذ إلى إعماق قلبه وروحه، فضلاً أن تحدث تلك العبارات الميتة هذا اللون من التأثير، يبقى الإنسان متحيراً مشدوهاً يتساءل: هل هذا هو الكتاب الذي تُحدي العالم بالإتيان بمثله؟! والسبب في ذلك أن الترجمة اللفظية مثل الغربال الذي يسمح بأن تجتاز من خلاله بعض أجزاء الدواء الجافة فقط، وأما روح الأدب التي أقم بها نظم القرآن الكريم فتبقى فوق غربال الترجمة ولا يمتزج جزء منها بالترجمة، مع أن بلاغة القرآن الكريم وأدبه لا يقل تأثيراً عن تعاليمه وأحكامه ومواضيعه، وهذه (بلاغة القرآن الكريم وأدبه) هي الميزة التي كانت تذيب أشد القلوب تحجراً، وهذه هي الميزة التي كانت قد هزّت الجزيرة العربية مثل الصاعقة الكهربائية، وكان أشد الناس مخالفة للإسلام يعترفون بتأثيره، وكانوا يخافون من أن يسمعه أحد لأن كل من سيسمع هذا الكلام المؤثر أثر السحر سينقاد له، ولو نزل القرآن الكريم بلغة مثل اللغة التي نجدتها في التراجم اللفظية، ولم يكن في نظمه هذه الميزة، لما تمكن من إيجاد تلك الحرارة التي أوجدها في قلوب العرب، ولما تمكن من إلانة تلك القلوب كما تمكن منها في واقع الأمر"⁸.

فإذا كانت الترجمة اللفظية لا تحقق أي غرض من الأغراض التي يتوخاه المترجم فلا فائدة في الاشتغال بها، ويكون الاشتغال بها مضيعة للوقت.

الأسلوب الثاني: ترجمة حاصل المعنى المراد

أما الأسلوب الثاني: وهي الترجمة بأسلوب حاصل المعنى المراد، وهي الترجمة التي لا يتقيد فيها المترجم بوضع كلمة في الترجمة بإزاء كل كلمة في النص الأصلي، بل يقرأ النص، ويفهمه، ثم يعبر عن مفهومه وروحه بتعبير من عنده في اللغة المترجم إليها، من غير أن يتقيد بترتيب الكلمات في النص الأصلي، يقول الإمام ولي الله الدهلوي عن هذا الأسلوب: "والبعض الآخر يتأمل في الكلام المراد ترجمته، ويقف على ما فيه من تقديم وتأخير، وكنية ومجاز، ثم ينقل الكلام إلى ذهنه ثم يعبر عنه بالفارسية أو بأي لغة أخرى يريد ترجمة الكلام إليها، ويسمى هذا الأسلوب في الترجمة "بيان حاصل المعنى"⁹. يرى الإمام ولي الله الدهلوي أن هذا الأسلوب - وإن كان

¹ - سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه ج 1 ص 53، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، عام 1416هـ - 1996م، بيروت، لبنان.

² - يقصد الإمام البزدوي.

³ - البخاري، علاء الدين عبد العزيز، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي (ج 1 / ص 42).

⁴ - يقصد أن الإنسان يضطر أن يختار لغة شاذة وأسلوباً شاذاً في اللغة لأجل ذلك.

⁵ - في الأصل الفارسي "نواج" والصحيح "نواج" يقول ابن منظور الأفرقي: "النواج صياح الغنم تأجت فتأج نواجاً ونواجاً بفتح الهمزة في جميع ذلك صاححت وفي الحديث لا تأتي يوم القيامة وعلى رقبك شاة لها نواج وأنشد أبو زيد في كتاب الهمز وقد تأجوا كنواج الغنم وهي ناجة ولجمع نواج ونائج ومنه كتاب عمرو بن أفصى إن لهم الناجة وهي التي تصوت من الغنم وقيل هو خاص بالضأن منها" لسان العرب ج 2 ص: 219

⁶ - القثاء الخيار، والجرو بمعنى الصغار.

⁷ - ولي الله الدهلوي، المقدمة في قوانين الترجمة المصدر السابق.

⁸ - سيد أبو الأعلى المودودي، ديباجة تفهيم القرآن ج 1 ص 6، مكتبة تعمیر انسانيت، لاهور، 1978م.

⁹ - المصدر السابق

الأسلوب الأمثل في الترجمة مطلقاً - لكنه لا يصلح لترجمة القرآن الكريم، لأن المترجم إذا لم يحافظ على الترتيب القرآني في الترجمة، وعبر عما فهمه من النظم القرآني بتعبير من عنده من غير تقيد باللفظ قد يؤدي ذلك إلى مفسدة، وذلك بأن يكون فهم المترجم عن النظم القرآني خاطئاً، فإذا عبر عنه بتعبير من عنده من غير مراعاة ترتيب النظم القرآني ضاع احتمال الاستدراك من قبل شخص آخر يأتي بعد المترجم، يقول الشيخ ولي الله الدهلوي: "والأسلوب الثاني (بيان حاصل المعنى) فيه خلل أيضاً؛ لأن في كثير من المواضع يحتمل الكلام المترجم وجهين فأكثر، وقد لا يفتن المترجم إلا لوجه لا يريد المتكلم، وفي حقيقة الأمر قد حصل التحريف في الكتب السماوية السابقة في الغالب بسبب ذلك، ومن هنا يجب المحافظة على النظم في ترجمة الكلام الإلهي، لأن المترجم إذا كان قد أخطأ في موضع يمكن أن يتداركه من يأتي بعده، فرب مبلغ أوعى من سامع!"¹

أما الإمام المودودي² فيرجح هذا الأسلوب في الترجمة، لكن مع مراعاة الاحتياط الذي يتوجب على من يتعامل مع النظم القرآني، وقد ساق الشيخ مبررات عديدة لتركة أسلوب الترجمة اللفظية، واختياره لترجمة حاصل المعنى المراد، ولتقدم وجهة نظره في الأسلوب الذي اختاره بصورة تفصيلية وكاملة نقدم هنا تعريب كلامه من ديباجة تفسيره تفهيم القرآن (بالأوردية) مع طول الكلام لكنه لا بد من قراءته في موضع واحد بشكل مترابط، وإليك كلام الأستاذ المودودي بطوله.

يقول الأستاذ المودودي³: "تركت في هذا الكتاب طريقة الترجمة (اللفظية) واخترت طريقة ترجمة حاصل المعنى المراد⁴ وليس سبب هذا الاختيار أنني أعتبر التزام اللفظ في ترجمة القرآن الكريم خطأ؛ بل سببه الحقيقي أن مجموعة من العلماء والكبار قد قاموا بهذا الواجب (واجب الترجمة اللفظية) بأحسن صورة، ولا داعي لبذل مزيد من الجهد في هذا المجال، فترجمة القرآن للإمام الشاه ولي الله الدهلوي بالفارسية، وتراجم كل من المشايخ الأفاضل الشاه عبد القادر، والشاه رفيع الدين⁵، والشيخ محمود الحسن⁶، والشيخ أشرف علي، والحافظ فتح محمد الجالندري تؤدي الأغراض المطلوبة من الترجمة اللفظية بصورة جيدة، لكن هناك أغراض لا تتحقق بالترجمة اللفظية ولا يمكن أن تتحقق، هذه الأغراض هي التي أردت تحقيقها عن طريق اختيار أسلوب ترجمة حاصل المعنى المراد⁷.

فإن الفائدة الحقيقية للترجمة اللفظية تكمن في أن القارئ يفهم من خلالها معنى كل كلمة من الكلمات القرآنية، وعندما يقرأ الآية مع ترجمتها اللفظية تحتها يدرك المفهوم الإجمالي للآية، لكن إلى جانب ذلك هناك أنواع من القصور تمنع غير العالم باللغة العربية من الاستفادة بالقرآن الكريم بصورة جيدة، هذه المشاكل كالتالي:

الأمر الأول الذي يلاحظ عند القراءة لترجمة لفظية أن القارئ يفتقد في الكلام سلاسة العبارة، وقوة البيان، وبلاغة اللسان، ويجد الإنسان تحت آيات القرآن عبارات ميتة عند ما يقرأها لا تصاب روحه بالوجد، ولا يقشعر جلده، ولا تجود عينه بالدموع، ولا يثور الطوفان في مشاعره، ولا يشعر بأن شيئاً سخر عقله وفكره ونفذ إلى أعماق قلبه وروحه، فضلاً أن تحدث تلك العبارات الميتة هذا اللون من التأثير، يبقى الإنسان متحيراً مشدوها يتساءل: هل هذا هو الكتاب الذي تُحدي العالم بالإتيان بمثله؟! والسبب في ذلك أن الترجمة اللفظية مثل الغربال الذي يسمح بأن تجتاز من خلاله بعض أجزاء الدواء الجافة فقط، وأما روح الأدب التي أعمم بها نظم القرآن الكريم فتبقى فوق غربال الترجمة ولا يمتزج جزء منها بالترجمة، مع أن بلاغة القرآن الكريم وأدبه لا يقل تأثيراً عن تعاليمه وأحكامه ومواضيعه، وهذه (بلاغة القرآن الكريم وأدبه) هي الميزة التي كانت تذيب أشد القلوب تحجراً، هذه هي الميزة التي كانت قد هزّت الجزيرة العربية مثل الصاعقة الكهربائية، وكان أشد الناس مخالفة للإسلام يعترفون بتأثيره، وكانوا يخافون من أن يسمعه أحد لأن كل من سيسمع هذا الكلام المؤثر أثر السحر سينقاد له، ولو نزل القرآن الكريم بلغة مثل اللغة التي نجدتها في التراجم اللفظية، ولم يكن في نظمه هذه الميزة، لما تمكن من إيجاد تلك الحرارة التي أوجدها في قلوب العرب، ولما تمكن من إلهة تلك القلوب كما تمكن منها في واقع الأمر.

ومن أسباب عدم التأثير بالتراجم اللفظية أن الترجمة تكتب بين سطور النظم القرآني، أو تقسم الصفحة قسمين - حسب الإخراج الفني الحديث - ويكتب في جانب منها النظم القرآني، ويكتب في المقابل في الجانب الآخر ترجمته اللفظية، هذان الأسلوبان في الإخراج والكتابة يتناسبان مع الغرض الذي يقرأ الإنسان من أجله الترجمة اللفظية، فإنه يجد مقابل كل كلمة ترجمتها ومقابل كل آية مفهومها اللفظي، لكن المشكلة في ذلك أن القارئ لا يمكن له أن يقرأ الترجمة اللفظية للقرآن الكريم متواصلة وأن يتأثر بها، كما يقرأ كتاباً أخرى متواصلة ويتأثر بها، لأن لغة أجنبية تحول باستمرار دون قراءته المتواصلة للترجمة، بالإضافة إلى ذلك توجد مشكلة أخرى في تراجم القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية تزيد تعقيدها، وتقلل تأثيرها وهي ترقية ترجمة الآيات بتقييم الآيات نفسها - اتباعاً لكتابة ترجمة الكتاب المقدس - وهذا التقييم يقطع الكلام المسلسل إلى فقرات غير مترابطة، خذ على سبيل المثال مقالاً جيداً، ثم قطعه إلى فقرات أو جمل ثم اكتب هذه الجمل تحت أرقام مسلسلة، ستشعر بنفسك أن الأثر الذي ترتبه العبارة المقطعة بالصورة المذكورة على ذهنك وعقلك أقل بكثير من أثر العبارة المسلسلة.

والسبب الآخر بل من أهم أسباب عدم تأثير الترجمة اللفظية هو أن القرآن الكريم لم ينزل بأسلوب الكتابة والتحرير، بل نزل بأسلوب الخطابة، فلو لم يغير الأسلوب الخطابي إلى الأسلوب الكتابي عند الترجمة لصارت العبارة كلها غير مترابطة، فإن من الواضح والمقرر أن القرآن الكريم لم ينشر في صورة كتيبات صغيرة أو رسائل قصيرة،

¹ - الإمام ولي الله الدهلوي، المقدمة في قوانين الترجمة المصدر السابق.

² - هو الأستاذ سيد أبو الأعلى المودودي ولد في (3 من رجب 1321 هـ الموافق 25 من سبتمبر 1903م) وفي عام (1351 هـ الموافق 1932م) بدأ في إصدار مجلة "ترجمان القرآن" من حيدر آباد الدكن، وفي عام 1937 - 1938م قدم إلى لاهور تلبية لدعوة شاعر الشرق محمد إقبال اللاهوري ولما أحس المودودي أن فكره قد انتشر، وأن مجموعة كبيرة من الناس قد اقتنعوا بفكرته، دعا عن طريق مجلته "ترجمان القرآن" لتجمعهم في لاهور، فاجتمع حوالي أربعين شخصاً بدعوته في لاهور في 3/ شعبان 1360 هـ الموافق 26/ أغسطس عام 1941م، وأسسوا الجماعة الإسلامية، وانتخب أميراً لها، انتج الأستاذ المودودي إنتاجاً غزيراً، من أهم هذه الكتب تفسيره للقرآن الكريم الذي سماه "تفهيم القرآن" في ست مجلدات توفي عام 1979م.

³ - هذا تعريب لكلام الأستاذ المودودي المتعلق بترجمته للقرآن الكريم في "ديباجة" تفسيره "تفهيم القرآن" ولم أترجمه الديباجة كلها، بل اخترت الفقرات التي تحدث فيها عن ترجمته للقرآن الكريم، والديباجة تستغرق من المجلد الأول من صفحة (5) إلى (12) والكلام المتعلق بالترجمة يستغرق أغلب هذه الصفحات، فإنه قد تحدث عنها في الصفحات من (6) إلى (11).

⁴ - وقد سمي هذا الأسلوب في ديباجة كتابه تفهيم القرآن بـ"الترجمانية الحرة"، ويقصد بها أنه لم يتقيد في الترجمة باللفظ.

⁵ - الشاه رفيع الدين والشاه عبد القادر ابنان للإمام ولي الله الدهلوي قاما بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الأوردية.

⁶ - الشيخ محمود الحسن كان رئيساً لجامعة ديوبند الشهيرة، لقب بشيخ الهند، له مواقف شهيرة ضد الاستعمار الإنجليزي للهند، اعتقل من قبل الإنجليز في جزر "مالطة" ترجم القرآن الكريم - بل بالأحرى أعاد صياغة ترجمة الشاه عبد القادر للقرآن الكريم.

⁷ - هذا الأسلوب سماه المودودي بـ"الترجمانية" ويقصد بذلك أن ترجمته هذه ليست ترجمة حرفية، بل هي ترجمة متحررة تعبر عن المفهوم للنظم القرآن، لكن لا يفهم أحد أنه تحرر فيها إلى درجة إدراج أشياء في الترجمة من عنده، بل راعي في ذلك جانب الاحتياط كما أشرنا إليه قبل ذلك.

بل كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة خطبة حول دين الله عز وجل وفق الحاجة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأها على الناس في صورة خطبة، ويوجد فرق كبير جدا بين أسلوب الخطابة وأسلوب الكتابة طبيعية، فعلى سبيل المثال عند ما يريد انسان إبطال شبهة في الكتابة يجب عليه أن يقرها أولا ثم يكررها عليها فيبطلها، لكن طبيعة الخطابة تختلف عن ذلك فإن مثيري الشبه يتواجدون أمام الخطيب، ومن هنا فإن الخطيب لا يحتاج أن يقول في كثير من الأحيان: "يقول البعض كذا وكذا" بل يتفوه بفقرة أثناء إلقاءه الخطبة وتكون تلك الفقرة جوابا لشبهتهم، عندما يريد الكاتب أن يقول شيئا مرتبطا بموضوع الكتابة بعيدا عن السياق يكتبه في صورة جملة معترضة مستقلة عن العبارة العامة لئلا يتأثر تناسب أجزاء الكلام وترابطها، لكن الخطيب يتفوه بجملة معترضة عديدة بتغيير اللهجة أو بتغيير طريقة الخطاب ولا يشعر السامع بعدم ترابط الكلام، يحتاج الكاتب لألفاظ لإيجاد العلاقة بين الواقع وبين البيان، لكن الوضع يتربط بالبيان بنفسه في الخطابة، ولا يشعر السامع بعدم الترابط بين الوضع وبين ما يقال في الخطبة ولو لم يشر صراحة إلى الأوضاع المحيطة بها.

يتغير المتكلم والمخاطب باستمرار في الخطابة، فيخاطب جماعة بصيغة الخطاب أحيانا، ويخاطبها بصيغة الغائب أحيانا أخرى نظرا لمقتضى الحال، ويستخدم صيغ المفرد أحيانا بينما يستخدم صيغ الجمع حينما آخر، ويكون الخطيب هو المتكلم أحيانا، ويتحدث نيابة عن جماعة ما، وينوب في بعض الأحيان عن قوة خارقة متعالية، وتتحدث تلك القوة الخارقة على لسانه أحيانا، هذه الأساليب المختلفة تزيد في حسن الخطابة، بينما تكون هذه الأساليب نفسها سببا لعدم ترابط الكلام، ومن هنا عندما يقرأ الإنسان الخطبة التي تم تحويلها إلى كلام مكتوب فإنه يجد عدم الترابط بين أجزائها حتما، وهذا هو السبب وراء قول بعض الجهال بعدم وجود المناسبة بين أجزاء النظم القرآني الأصلي، والوسيلة الوحيدة لإزالة شبهة عدم التناسب بين النظم القرآني بين المناسبات بين أجزائه في الحواشي التفسيرية والتعليقات الإضافية، لأنه يحرم الزيادة في النظم القرآني والنقص منه، ولكن يسهل إزالة شبهة عدم التناسب بين أجزاء القرآن الكريم عند ترجمة حاصل معناه المراد (الترجمانية) إلى لغة أخرى بتغيير لغة الخطابة إلى لغة الكتابة بدقة واحتياط.

بالإضافة على ما سبق، كما ذكرت عرضا أن كل سورة من السور القرآنية كانت في الحقيقة خطبة تنزل في مرحلة معينة من مراحل حياة الدعوة الإسلامية وفي ظروف خاصة، وكان كل سورة تنزل مع خلفية معينة وعند حدوث حوادث خاصة تقتضي نزولها، وكانت تنزل لتبليغ لقضاء بعض الحوائج، وتوجد علاقة وطيدة لهذه السور بهذه الخلفيات وهذه الأسباب التي كانت تنزل بسببها، بحيث لو جردت هذه السور من تلك الخلفيات والأسباب ووضعت ترجمتها أمام القارئ ستخفى كثير من معانيها عليه، بل وستوهمه هذه الترجمة خلاف ما يقوله القرآن، وسيطلع القارئ نادرا على جميع ما يدعو إليه القرآن الكريم، أو يقره.

يستعان في اللغة العربية بالتفسير للتغلب على هذه المشكلة، لأنه لا يمكن زيادة شيء في النظم القرآني، لكن عند ترجمة المعنى المراد بالقرآن (الترجمانية) إلى لغة أخرى يمكن أن نتمتع بشيء من الحرية في ربط الكلام بسبب نزوله وظروف وروده ليصبح الكلام مفهوما إلى حد كبير لدى القارئ.

إلى جانب ما سبق يجدر الإشارة إلى أن القرآن الكريم - وإن نزل بلسان عربي مبين - لكن له لغة اصطلاحية خاصة، فهناك كلمات كثيرة نقلها القرآن الكريم عن المعنى اللغوي إلى معنى اصطلاحى خاص به، وهناك كلمات يستخدمها القرآن الكريم في كل سياق بمفهوم مختلف عن الآخر، والترجمة اللفظية التي يلتزم فيها بالكلمات يصعب جدا فيها رعاية تلك المصطلحات، وعدم رعاية اختلاف معاني تلك المصطلحات يقع القارئ في أنواع من الحيرة والشك والخطأ، فلو ضربنا المثال لذلك بكلمة (كفر) فإن هذه الكلمة استخدمها القرآن الكريم بمعنى مغاير لمعناها اللغوي ولمعناها الاصطلاحى عند الفقهاء والمتكلمين، بل قد استخدمها القرآن الكريم نفسه في موضع بمعنى وفي موضع آخر بمعنى آخر، فيريد به في بعض المواضع "التخلي عن الإيمان تماما" وأريد به في بعض المواضع بمعنى "مطلق الإنكار" وفي بعض الأماكن أريد به "كفران النعمة وكفران الإحسان" وفي بعض الأماكن أطلق الكفر على من لا يؤدي مقتضيات الإيمان بصورة كاملة، وفي بعض المواضع أطلق على من يقر ويعتقد لكن لا يلتزم بمقتضيات العقيدة ويرتكب المعاصي، وأطلق في بعض المواضع على الإنكار الاعتقادي مع الطاعة الظاهرية، فلو ترجمت كلمة "الكفر" في كل هذه المواضع بالكفر، أو التزمنا في ترجمتها بكلمة أخرى لكانت الترجمة اللفظية صحيحة، لكن سيحرم القراء في مواضع من الفهم الصحيح، وفي مواضع سيقعون في الخطأ، وفي مواضع أخرى سيقعون في الحيرة.

تجنبنا لهذه الجوانب من القصور والأنواع من المشاكل اخترت أسلوب ترجمة المعنى المراد (الترجمانية)¹ أنا لم أحاول أن ألبس الكلمات القرآنية لباس الأردو، بل حاولت عوضا عن ذلك أن أنقل الفهم - الذي أفهمه من قراءة النظم القرآني والذي يؤثر في قلبي - إلى لغتي بشكل صحيح قدر الإمكان، حاولت أن لا يغلب على أسلوب البيان صبغة الترجمة، بل حاولت أن أنقل المعنى المراد من لسان عربي مبين إلى أوردية مبينة، حاولت أن أظهر المناسبة بين الكلام الخطابي عند النقل إلى لغة الكتابة بصورة طبيعية من غير تكلف، وحاولت أن يتضح المعنى المراد بكلام الله عز وجل في الترجمانية مع المحافظة على قوة بيان الكلام الإلهي وهيبته القدسي حسب مقدرتي.

كان علي أن أتحرق من قيود الترجمة اللفظية للقيام بهذا اللون من الترجمانية (ترجمة المعنى المراد) لكن لما كان التعامل مع الكلام الإلهي استفتت من هذه الحرية بكامل الاحتياطات والشعور بالخوف، حاولت بكل ما في وسعي من الاحتياط أن لا أتجاوز الحد الذي يسمح به التعبير القرآن من البيان". انتهى كلام المودودي.

الأسلوب الثالث: الجمع بين الأسلوبين السابقين

الأسلوب الثالث: أما الثالث الذي اختاره البعض في ترجمة القرآن الكريم هو الجمع بين الأسلوبين السابقين؛ بأن يقوم المترجم أولا بترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية، ثم يعود ويترجمه بترجمة حاصل المعنى المراد، يقول الإمام ولي الله الدهلوي: "وقد أراد أناس تفادي الخلل الموجود في الأسلوبين السابقين فجمعوا بين الترجمة اللفظية و"تقرير حاصل المعنى" ليتمكن من تدارك نقيصتي الركافة والتعقيد الموجودتين في الترجمة اللفظية بكلام آخر يحصل به تقرير المراد بعيدا عن التعقيد والركافة، وإذا كان هناك خلل في تقرير المراد (باختيار ترجمة حاصل المعنى) باختياريه في الترجمة لأحد الوجهين المحتملين في الكلام المترجم، أو بتأويل متشابه فسيتم معالجة هذا الخلل بإيراد "الترجمة اللفظية" أو "الترجمة تحت اللفظ"².

¹ - هذا تعبير الإمام المودودي يعبر به عن أسلوبه في الترجمة وهو ترجمة حاصل المعنى.

² - مقدمة در فن ترجمه

لكن الإمام ولي الله الدهلوي غير مقتنع بهذا الأسلوب أيضا، ويعتبر ذلك بعيدا عن الذوق السليم، ومن هنا يقرر رفض هذا الأسلوب بقوله: "ولكن هذا الأسلوب (أي الجمع بين الأسلوبين السابقين) فيه شناعة لدى أصحاب الأذواق السليمة، لأنه يؤدي إلى إيجاد التشويش في ذهن القارئ المبتدئ، ولا يستفيد به القارئ المنتهي، بالإضافة إلى ما فيه من آفة التطويل وإخراج الكلام عن نسقه الطبيعي"¹.

الأسلوب الرابع: ترجمة حاصل المعنى المراد مع الميل إلى الترجمة الحرفية

الأسلوب الرابع المختار لدى الإمام ولي الله الدهلوي: لقد اختار الإمام ولي الله الدهلوي أسلوبا بديعا في ترجمته للقرآن الكريم باللغة الفارسية التي سماها "فتح الرحمن في ترجمة القرآن"، وهو أسلوب حاصل المعنى مع الاحتياط الشديد في عدم الخروج من ترتيب النظم القرآني، ومن غير إقحام كلمات إضافية إلا في أماكن نادرة لا يمكن تجاوزها، يقول عن هذه الترجمة في آخر كتابه الفوز الكبير: "ومن العلوم الوهبية ترجمته باللسان الفارسي على وجه مشابه للعربي في قدر الكلام والتخصيص، والتعميم، وغيرها أثبتناها في "فتح الرحمن في ترجمة القرآن" وإن تركنا هذا الشرط في بعض مواضع بسبب خوف عدم فهم الناظرين بدون التفصيل"². وقد واجه الإمام ولي الله الدهلوي مشاكل وصعوبات كثيرة في الالتزام بمنهجه هذا عند ترجمته للقرآن الكريم، وقد أشار إلى بعض تلك المشاكل والصعوبات في الرسالة الصغيرة التي كتبها عند ترجمته للقرآن الكريم، والتي سماها "المقدمة في قوانين الترجمة".

الخاتمة

يظهر من قراءة كلام الشيخين؛ الإمام شاه ولي الله الدهلوي والأستاذ المودودي أنهما متفقان على عدم صحة الترجمة الحرفية، وكذا الأمر بالنسبة للتححرر التام عن الالتزام بالنظم القرآني، فإن الأسلوبين المذكورين كليهما مرفوضان عندهما جميعا، لكن الإمام شاه ولي الله الدهلوي مال إلى الترجمة اللفظية مع الالتزام بأسلوب ترجمة المعنى المراد لأسباب موجهة عنده، وأما المودودي فقد ترجح لديه الترجمة بأسلوب حاصل المعنى المراد مع رعاية النظم القرآني. فلو دققنا النظر في ترجمة الإمام ولي الله الدهلوي للقرآن الكريم التي سماها ب"فتح الرحمن في ترجمة القرآن" لرأينا أنه اختار الترجمة اللفظية مع رعاية المعنى المراد رعاية تامة، امعانا في الاحتياط، وفي سبيل الالتزام بهذا الأسلوب واجه مشاكل كبيرة لأنه يصعب جدا الالتزام بترتيب النظم القرآني مع الاحتياط في إضافة الكلمات في الترجمة مع اختلاف أسلوب اللغتين؛ العربية والفارسية واختلاف تراكيبيهما، واختلاف بين اللغتين في تركيب الجملة³، ومن هنا هو يسمي هذا الأسلوب جمعا بين الأسلوبين؛ الترجمة اللفظية، و ترجمة المعنى المراد. أما المودودي فقد اختار أسلوب حاصل المعنى المراد مع محاولة الالتزام بالكلمات القرآنية وعدم الخروج من النظم القرآني، وعدم زيادة الكلمات إلا بقدر الضرورة، رعاية للنظم القرآني.

ويبدو أن الغرض الذي وضعه كل واحد من هذين الإمامين نصب عينه كان وراء اختيار الأسلوب الذي اختاره كل واحد منهما، فإن الأول كان يهدف من ترجمته للقرآن الكريم أن يفهم الناطقون بالفارسية في عهده - وهم غالبية أهل الهند من المسلمين - معاني الكلمات القرآنية، وأراد إلى جانب ذلك أن يتبع النظم القرآني في ترجمته رعاية لجانب الاحتياط فيما يتعلق بالقرآن الكريم، وكان يرى أن ذلك يسهل عملية استدراك الأخطاء على السابقين من اللاحقين، لكن هذا لا يعني بحال أنه أهمل الجانب المعنوي لحساب الجانب اللفظي، فإنه راعى ذلك أيضا مراعاة كبيرة. وأما المودودي فكان يهدف أن يخاطب الطبقة المثقفة بالثقافة العصرية، وأن ينقل إليها رسالة القرآن الكريم بلغة اوردية مؤثرة خالية من أي نوع من التعقيد والركاكة حسب مقدرته، وكلما زاد الاهتمام برعاية الجانب اللفظي في الترجمة زاد فيها التعقيد والركاكة، ومن هنا تحرر كثيرا عن الالتزام بالجانب اللفظي، واختار في ترجمته للقرآن الكريم التعبيرات المألوفة في اللغة الأوردية، لكنه لم يهمل جانب الاحتياط كذلك لأن الأمر مرتبط بالقرآن الكريم. هذا آخر ما أردت أن أسوقه في هذه القضية، وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ الطبع.
3. مرتضى، الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، تاج العروس شرح القاموس المحيط.
4. الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد، دار الريان، ودار الكتاب العربي، القاهرة، وبيروت، عام 1407هـ.
5. أبو عبد الله الحاكم، المستدرک على الصحيحين، دار الكتب العلمية، بيروت، عام 1990م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
6. البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة عام 1987م، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
7. ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث، المكتبة العلمية، بيروت، عام 1979، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي.
8. صفاء خلوصي، فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة، دار الرشيد للنشر منشورات وزارة الثقافة والإعلام 1982م سلسلة دراسات: 292.
9. محمد حسين يوسف، "كيف تترجم"، المطبوع عام 2006م، المنشور على موقع صيد الفوائد على الشبكة العالمية.
10. الزبدواوي، الدكتور محمود، مقال " أهداف ترجمة القرآن وأنماطها عبر التاريخ" المنشور في مجلة التراث العربي- مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب-دمشق العدد 98 - السنة الخامسة والعشرون - حزيران 2005 - جمادى الأولى 1426.

¹ - ولي الله الدهلوي، المقدمة في قوانين الترجمة

² - ولي الله الدهلوي، ترجمة الفوز الكبير في أصول التفسير، ص 80 طبع نور محمد كتابخانه كراتشي بدون تاريخ النشر.

³ - وقد أشار الإمام ولي الله الدهلوي إلى الفروق الكثيرة بين اللغة العربية والفارسية في رسالته القيمة المقدمة في قوانين الترجمة، فإن هذه النقطة استغرق أكثر من نصف الرسالة التي تبلغ صفحاتها 14 صفحة.

11. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري، طبع دار المعرفة، بيروت، عام 1379هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب.
12. الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الموافقات، دار ابن عفان، الطبعة الأولى عام 1417هـ/ 1997م، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان.
13. الدينوري، ابن قتيبة، مشكل القرآن، تحقيق: الشيخ أحمد صقر.
14. البستي، محمد بن حبان التميمي أبوحاتم، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية عام 1993م، تحقيق شعيب الأرنؤوط.
15. الدكتور عبد رب النبي ذاكر، قضايا ترجمة القرآن، كتاب نصف الشهر، سلسلة شرع المغربية التي تصدر في طنجة العدد: 45، 25 شعبان 1419هـ- 15 ديسمبر 1998م.
16. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتيقان في علوم القرآن، طبع منشورات الرضى، إيران، عام 1363هـ ش .
17. الزركشي، محمد بهادر، البرهان في علوم القرآن، طبع دار المعرفة، بيروت، عام 1391هـ تحقيق: محمد أبو الفضل.
18. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - 1422 هـ - 2001 م، الطبعة : الأولى، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض، وشارك في التحقيق: د.زكريا عبد المجيد النوقي، و د.أحمد النجولي الجمل.
19. مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف، الرياض الطبعة الثامنة، 1401 هـ .
20. محمد لطفي الصباغ، بحوث في أصول التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى عام 1408 هـ
21. محمد محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة، عام 1407 هـ.
22. محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، طبع كتب خانة رشيدية، بشاور، باكستان، بدون تاريخ الطبع، ويبدو أنها صورة غير شرعية لنسخة أخرى.
23. الإمام ولي الله الدهلوي، المقدمة في قوانين الترجمة (باللغة الفارسية) خدابخش لايبيري جرنل العدد (115) بتنه، الهند، نشر- هذه الرسالة، وصحح نصها الفارسي الدكتور أحمد خان، واستغرقت عشرين صفحة من صفحات المجلة (ص 11 إلى 20) .
24. المجموع شرح المهذب للإمام النووي، طبع دار الفكر، بيروت.
25. البخاري، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، طبع منشورات محمد علي بيضوي دارالكتب العلمية، بيروت، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، الطبعة الأولى عام 1997م.
26. سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، عام 1416هـ - 1996م، بيروت، لبنان.
27. سيد أبو الأعلى المودودي، ديباجة تفهيم القرآن ج 1 ص 6، مكتبة تعمبر انسانيت، لاهور، 1978م.
28. ولي الله الدهلوي، ترجمة الفوز الكبير في أصول التفسير، طبع نور محمد كتابخانه كراتشي بدون تاريخ النشر.